سلف للبحوث و الدراسات
www.salafcenter.org

الكتب عرض وتعريف (3)

العالمانية طاعون العصر

كشف المصطلح وفضح الدلالة

تأليف : د.سامري عامري

إعداد : هيئة التحرير
بمركز سلف للبحوث والدراسات

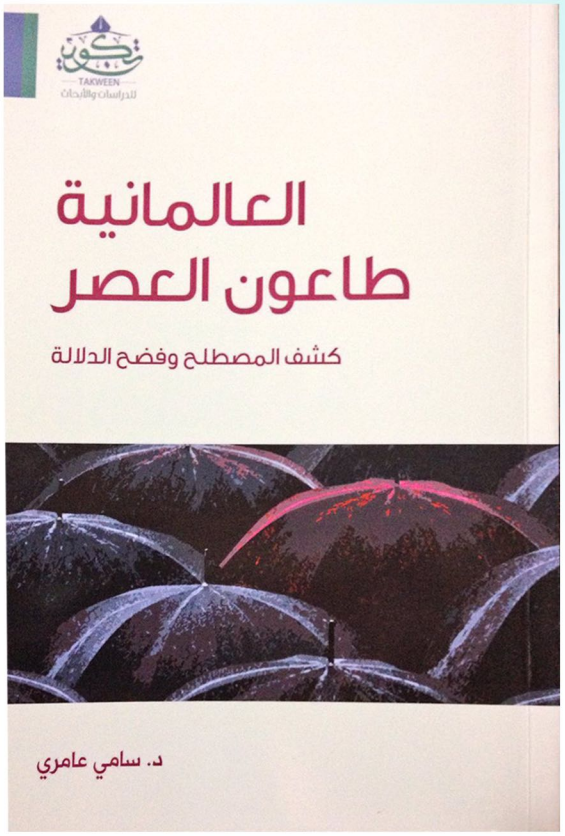

عرض كتاب العالمانية طاعون العصر

عنوان الكتاب: العالمانية طاعون العصر – كشف المصطلح وفضح الدلالة.

المؤلف: د. سامي عامري.

النشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

حجم الكتاب: (٣٣٦ص × غلاف).

أول الأسئلة التي تكتنف خلجات المثقف حين يلوح له عنوان هذا الكتاب، لم اختار لفظة العالمانية على عكس الشائع؟

لم يكن ذاك سهوا أو سقطا، ولكن المؤلف أبدع في بحثه وغوصه في غور هذا المصطلح وإبراز أصله الاشتقاقي، وأظهر الانفصال الحاصل بين هذا الفكر وبين العلم التجريبي، وكشف التلبيس الواقع بنسبة هذا الفكر إلى العلم.

ولأن أخوف صور الإلحاد المتفشية في زمننا هي العالمانية!

ضمَّن المؤلف هذا الكتاب في سلسلة الإلحاد في الميزان؛ ذلك أن النتيجة الحتمية للعالمانية التي تلغي أهم ركائز الإله (العبودية) هي ذات النتيجة التي يسعى إلى تحقيقها الفكر الإلحادي (لا إله والحياة مادة).

ففي نهاية الأمر يلتقي الفريقان في غاية واحدة وإن اختلفت الطرق، وتلك الغاية هي **إلغاء دور الإله في الحياة الواقعية**، وذلك ما لا يُخرج الإنسان من الليس إلى الأيس كما عبر المؤلف؛ لأن القضية الكبرى التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب هو توحيد الله بالعبادة لا مجرد الإقرار بربوبيته، والعالمانية تلغي هذه العبودية اكتفاء بالإقرار بالربوبية.

وإذا تأملت تطاير شرر هذا الفكر، وانتشاره انتشار النار في الهشيم كما تُبيِّن الإحصاءات، وتلوُّن خطابِه وانخداع كثيرٍ بزُخرفه بعد أن كان ظاهر البطلان، وفرضِه على الأمم دون معارضة أو تنقيب، بل دون خيار آخر؛ أيقنت أنه هو الصراع الحقيقي الذي يواجه الإسلام في عصرنا هذا، والأمة أحوج ما تكون إلى من يبين لها حقيقة هذا الفكر وبهرجه وخطورته.

هذا ما حدا بالمؤلف إلى إشـــهار ســـيفه لمحاربة هذا الفكر الفتاك، وإبلاج فجر هذا الكتاب الفذّ.

فغاية الكتاب إقامة تصـور صـحيح عن العالمانية تاريخا ولغة وواقعا، وكشـف ما زُوِّقت به زورا وبهتانًا؛ كدعوى أن (العِلْمانية) مشـتقة من العلم، أي: التفكير العلمي مقابل التفكير الأسـطوري، ودعوى أنها ولدت من رحم صـراعات العلم التجريبي مع الكنيسـة، ودعوى أنها مجرد فصـــل الدين عن الدولة، ودعوى أنها لا تعادي الدين وإنما تقرر أن الدين مســـألة شخصية، إلى غيرها من المغالطات العالقة في أذهان كثيرين.

ومنهج الكتاب للوصول إلى هذه الغاية: الدراسة التحليلية النقدية لمقولات العالمانية، ووصفها في الواقع الغربي والإسلامي ودراسة تحولاتها تاريخيا مختصرًا، مع تحرير الموقف الشرعي منها.

وقد ذكر المؤلف أهم الدراسـات السـابقة المتميزة؛ كدراسـات المسـيري وعمارة وصـلاح الصاوي، وجوانب تميزها.

وقد تحلَّى الكتاب بسـلاسـة الأسـلوب مع رونق في العبارة وغزارة في المفردات ورقي في المعاني والتراكيب كما تميز أيضا بالانسجام المنطقي في فصوله ومباحثه.

حيث استعرض في **الفصل الأول: الحقيقة النظرية للعالمانيّة**.

مفتحا الفصل بأهمية تصحيح المفاهيم وخديعة المصطلحات الدَّخيلة وإشكالياتها.

ولما كان من الصعوبة بمكان أن تظهر حقيقة مصطلح كمصطلح العالمانية الديني الغربي النصـراني نشـأة؛ وذلك بسـبب تلوُّن دلالاته وتشـكُّلها حسـب تقلبات المجتمعات، وتعدد الأزمنة والأمكنة، واختلاف زوايا النظر عند من عرَّفه، وانحراف معاييرهم بين غلو وجفاء؛ غاص المؤلف في أغواره وقطع مفاوز اللغات المختلفة التي ترعرع فيها بدءا بالإنجليزية ومرورا بالفرنسية وانتهاء بالعربية؛ لكي يتلألأ الحق الغائب وينكشـف البهرج الزائف وتكتمل صـورة هذا المصطلح.

فدَرَس مصـطلح العالمانية وأصـل اشـتقاقه، هل هو من عَلم أم عالم؟ وبيَّن تاريخ تحريفه المصـطلحي؛ انطلاقا من أصـله الغربي إلى ميلاده العربي، ثم مناقشـة المغالطات الناشـئة عن تلك التحريفات؛ كدعوى نشأتها عن الصراع مع العلم التجريبي، مذيلا بتحرير صلتها بالعلم.

وبعد أن انتهى من دراســـة المصـــطلح، ابتدأ بالبحث في دلالتها، وناقش تعريفاته الاصـطلاحيّة المعجمية وما فيها من اضـطراب، كما بحث تقلب دلالات المصـطلح وتغيرها حسب كل مرحلة من مراحله.

ثم رَسَم أشكال العالمانية تاريخيًا، وقسمها إلى أقسام باعتبارات مختلفة فتارة بالنظر إلى موقفها السلبي من الدين، وتارة بالنظر إلى علاقة الكنيسة بالدولة، وأخرى بالنظر إلى مساحة سلطانها.

واختتم الفصل بدراسة إشكالات أهم التعريفات الرائجة عنها في اللغة العربية، وعقبه بالبحث عن النواة الصلبة للعالمانية مذيلا بالتعريف المختار للعالمانية، وعلاقتها باللائيكية.

ثم ثنَّى البحث **بالفصل الثاني: الحقيقة الواقعيّة للعالمانيّة.**

واســـتهله المؤلف بالحديث عن أطلال وبقايا الدمار العالماني في العالم الغربي؛ كقتل الإنســـانية وتحويلها إلى أداة اســـتهلاكية مدجَّنة، حيث أصـــبح العالم بلا معنى ولا قيمة، وأضحت القدسية للمادة والمنفعة فحسب، واستعرَّت (الذئبية الداروينية) في المجتمع البشري، وأُدخل الإنســـان في نفق الأنانية الأخلاقية، وذُبحت الأنوثة لتتحول المرأة إلى رجل، ونُعيت الحقيقة المطلقة.

ثم عقبه بتسليط الضوء على آثار العالمانية في العالم العربي من حين وُلوجه مع نابليون، وذكرِ من تدنَّس به من العرب، فلطَّخوا تاريخ الاســـلام برَوثها وأبْوالها، وكانوا أول من جهر بالعالمانية، وناهض الإسلام جهارًا، وعَدُّوه تخلُّفا، وازدرى علماءه وأنصاره.

ثم اســـتعرض المؤلف أهم أدوات العلمنة في العالم العربي؛ كالابتعاث، والأنظمة العربية العالمانية، ودعوى القومية العربية.

ولم يُغفل الحديث عن موقف العالمانية من التدين، وذكر بعض آثارها على الدول الحديثة (تونس أنموذجا).

وزاد الكتاب بهاءً أن مؤلفه لم يكتف بالغوص في أغوار مصـــطلح العالمانية في عصـــر (العالمانية) فحســـب، بل تجاوز ذلك وأماط اللثام عن ماهيته في زمن (ما بعد العالمانية)، حيث دُفن فيها أملُ العالمانية التي كانت تحلم في نهايات القرن العشـرين بإعدام الدين؛ ولكن

سَرعان ما تراجعت وأيقنت أن التدين ركيزة أساسية في الحقيقة الإنسانية، وركن ركين في بنية المجتمع البشري حين رأوا صعود نجم (الدين) بعد أفوله في عصر العالمانية، كما حرره كثير من فلاسفة الغرب اليوم مثل: (بيتر برجر) و(يورجن هبرماس) و(كزنوفا).

ثم ابتدأ **الفصل الثالث: الحقيقة الشرعيّة للعالمانيّة.**

وحرر فيه موقف العالمانية من الإسلام ومن أهم ركائزه (التوحيد)، وموقف الإسلام من العالمانية، وينجلي للقارئ وهو يجول في فصـــول هذا البحث صـــرامة العالمانية وحدِّيتها مع الإسلام؛ إذ هي في طياتها وحقيقة أمرها دين مناهض لدين الإسلام، ولن تتواءم مع الإسلام حتى يلج الجمل في سم الخياط.

وكان **الفصل الرابع عن: الصُّورة الدّعائيّة للعالمانيّة.**

باشـــر فيه المؤلف كشـــف الزخارف وإزالة الأغشـــية المطلية على العالمانية؛ كالجدال في أصله الاشتقاقي، أو محاولة فصله عن أصوله الفلسفية، أو تعمية حقيقته بتعريفه ببعض آثاره البَهرجية المنتقاة، أو دعوى تقاطعه مع الدين.

وخصـــص المبحث الأخير من كتابه لكشـــف أباطيل المدلســـين الملفقين بين الإســـلام والعالمانيّة؛ كمن يزعم أن الإسـلام عالمانيٌّ في جوهره، أو أنه مجرد رسـالة روحية محضـة، أو أن دولة الإسلام دولة مدنيّة، أو دعوى ظلم الدين بإقحامه في السياسة، وغيرها.

وختم البحث بـذكر خلاصـــــة تحقيقـاتـه وأهم نتـائجـه، وجعل لـه ملحقين أولهمـا في الأخطاء الشائعة في العالمانية مختصرًا، وثانيهما في بيان وسائل مواجهة المشروع العالماني.

أخيرًا، إن استوعبت هذا الكتاب يا طالب الحق زال عن فؤادك الريْن المغشي على (لا إله إلا الله) في هذا العصر، وبان لك زخرف الباطل وبهرج العالمانية، وانكشفت لك الأخطاء الرائجة على عقول كثيرين، فمعرفة ذلك غدت من المهمات في هذا الزمان؛ فحقيق لمبتغي الحق أن يمعن النظر فيه.